ريو يوتسويا

تاريخ الهايكو الياباني

ترجمة: سعيد بوكرامي

كتاب
المجلة
العربية
175

تاريخ الهايكو الياباني

رئيس التحرير
د. عثمان بن محمود الصيني

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com

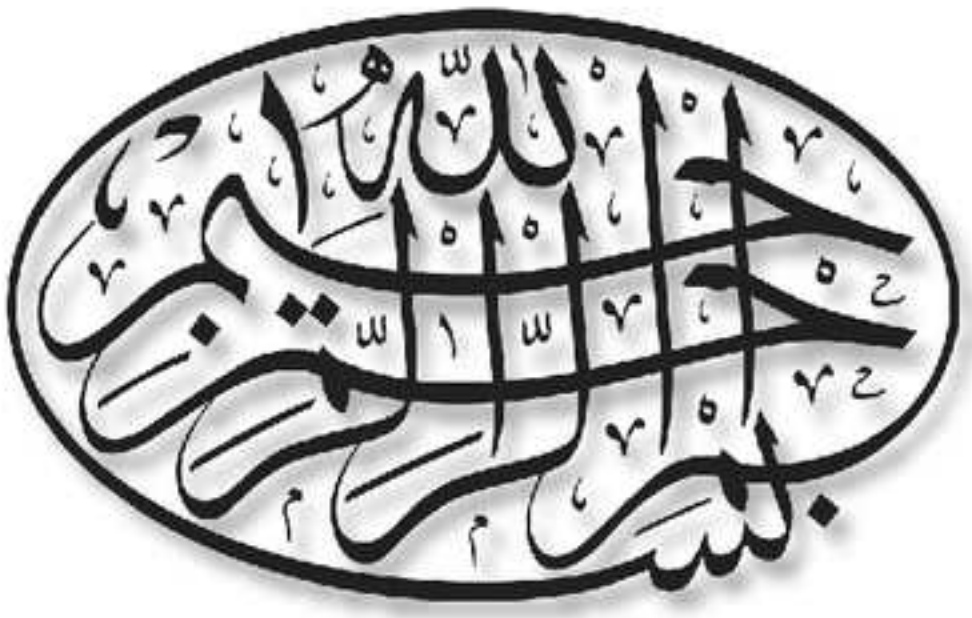

الإهداء

إلى روح والدتي.. روحك لا تفارق روحي..

ح المجلة العربية 1432هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

يوتسويا . ريو

تاريخ الهايكو الياباني / ريو يوتسويا ؛ سعيد بوكرامي. - الرياض، 1432هـ

72 ص، 21x14 سم

(سلسلة كتاب المجلة العربية، 175)

ردمك: 978_603_8086_11_7

1 ـ اليابان - تاريخ أ. بو كرامي . سعيد (مترجم) ب. العنوان

ديوي 952.04 1432/5586

رقم الإيداع: 1432/5586

ردمك: 978_603_8086_11_7

المحتوى

المؤلف	6
تمهيد	7
الفصل الأول: قبل باشو	13
الفصل الثاني: باشو ماتسو يو (1644 - 1694)	17
الفصل الثالث: بو سون يوسا (1716 - 1783)	23
الفصل الرابع: شيكي ماساوكا (1867 - 1902)	27
الفصل الخامس: كيوشي تكاهاما (1874 - 1959)	33
الفصل السادس: إيبيرو نكتسوكا (1887 - 1946)	39
الفصل السابع: سيكيتي هارا (1889 - 1951)	45
الفصل الثامن: هيساجو سوجيتا (1890 - 1946)	49
الفصل التاسع: سوجو تاكانو (1893 - 1976)	55
الفصل العاشر: كاكيو توميزاوا (1902 - 1962)	61
الفصل الحادي عشر: كوانغاتا (1900 - 1997)	69

المؤلف

ريو يوتسويا شاعر ياباني ولد بمدينة سوبورو سنة 1958, يعيش حالياً في طوكيو. بدأ كتابة شعر الهايكو سنة 1972. ساهم في تأسيس مجلــة خاصة بالهايكــو أطلق عليها (طاكا) بمعنــى (الصقر), وهي مجلة فصلية تعنى بشعر الهايكو في أنحاء العالم. في سنة 1986 نشر ديوانــه الأول (جيــاي) بمعنى (رأفة). وبرفقــة زوجته نيجي فويونو أســس ســنة 1997 مجلة جديدة هي (موشــيمغان) وتعني (العدسة المكبرة).

نشر ريو عدداً من الدراســات النقدية حول الهايكو والفن التشكيلي المعاصر والسينما.

درس الأدب الفرنــسي وناقــش أطروحتــه الجامعية حول الشــاعر الفرنسي غيوم أبو لينير.

كتــب بالفرنســية: مقدمة لشــعر الهايكو بــلا حــدود. أنطولوجيا الهايكو في العالم. نقد شعراء الهايكو. تجارب من الهايكو. الشعر على نهر السين. وعدداً كبيراً من الكتب والمقالات باللغة اليابانية.

تمهيد

في سنتي الجامعية الأولى تعرفت على نماذج من شعر الهايكو ضمن ملف نشرته مجلة الأدب الصيني التي كانت تصدر باللغة الفرنسية. ومنذ ذلك الوقت رافقتني رغبة ملحة في ترجمة منتخبات منه, لكن شاءت الصدف أن أنصرف إلى ترجمة أشياء أخرى. إلى أن وقع بين يدي كتاب ريو يوتسويا، فعادت الرغبة من جديد, ولم أتعجل في ترجمته بل صاحبته سنة كاملة بالقراءة والبحث, فوجدت أن ما كنت أعتقده في البداية سهل المنال في الهايكو ما هو إلا المرئي من جبل الجليد العائم. تتستر فلسفة الهايكو بين الطبيعة والدقة اللغوية, فببضع كلمات يختزل الوجود. مقاطع الهايكو الشذرية تتقصى المكان والزمان دفعة واحدة, تارة بهزل وتارة أخرى بحكمة.

عندما بحثت عن أصل كلمة هايكو التي تعني باليابانية طفل الرماد. زاد عندي الافتتان ووجدتني أقر أن في الأشياء الصغيرة والبسيطة توجد عظمة الوجود، ولا يمكن القول أبداً إن هؤلاء الشعراء الذين تعاقبوا على ريادته كانوا يلعبون أو يتلاعبون بالألفاظ لتسلية أنفسهم أو تسلية غيرهم. إن شعر الهايكو فرضه تصور فلسفي وجمالي انطلق مع رائد الهايكو باشو, واستمر مع آخرين كديمومة الزمان متنقلاً بين الشعراء القدامى والمحدثين مستجيباً للظروف السوسيوثقافية لكل شاعر هايكو على حدة.

الهايكو شـــكل شعري قديم ظهر في اليابان منذ قرون، وهذا الشكل التقليـدي لـــه تاريـخ طويل، ونشـــطت كتابته مـــع الشـــاعر المرموق باشـــو (1644 – 1694م) وبوســـون (1716 – 1783م), وهو (وصف للطبيعة) أو (رسم للحياة)، ونحن مدينون له باسم (الهايكو).

الهايكـــو قصيـــدة انبثقت مـــن تقليد شـــعري آخر كان ســـائداً وهو الرينغا الذي وظف المثال والحكمة والقول المأثور، اشتغل الهايكو على الحـــواس الواقعية التي تســـود الحياة اليومية، أمـــا التجريد والتعميم فهو مطلق الغياب. تتمثل ميزته الأساســـية أنه قول لحظة بلحظة في زمان ومكان محددين. كما أنه أيضاً تعبير عن الحياة السريعة الزوال، قد تبدو قصيدة الهايكو ســـهلة ومن السهل الوصول إلى دلالاتها ولعل مرد ذلك يعود إلى بســـاطته الظاهرة، لكن عمقه الفلســـفي والجمالي، يدل على عكس ذلك.

الميزة الثانية هي الإيجاز في اللغة، ينجز الهايكو عادة بـــ17 مقاطعاً تكتب على ثلاثة خطوط (5/7/5 مقاطع).

الميزة الثالثـــة أنه يعتمد الجملة الناقصة كمـــا الحياة فهي لا تظهر أسرارها الخفية، جمل اسمية في الغالب معززة بمصدر وقليلاً ما نجد جملاً فعلية.

الميـــزة الرابعة توظيفـــه للحواس: اللمس والذوق والســـمع والشـــم والبصر، تســـتخدم في الهايكـــو كإدراكات مادية مـــن الواقع الملموس وليس كاستدعاءات عقلية.

يوظف الهايكو اثنين أو ثلاثة، في بعض الأحيان، من هذه الحواس في نـص واحد، في بعض الحالات يولد الهايكـو من رائحة وينتقل إلى لمس مصدرها، وأحياناً يجمع بين الحواس كلها في هايكو واحد.

الميزة الخامسـة، يوظف الهايكـو أيضاً حالات هزليـة القصد منها السـخرية وبعث الابتسامة، ففي كثير من الأحيان تتحول الصرامة في الحياة والدقة في التفكير إلى مواقف مضحكة.

يسـتحضر الهايكو القديم عـلى العموم الفصـول الأربعة، في بعض الأحيان بشـكل غامض وفي بعض الأحيان بشـكل محدد جداً لكنه مع ذلـك ليس صـورة مجردة. الهدف منه أن يحيـل على كثافة لحظة من الحيـاة بكلمـات قليلة جداً، مثـل التقاط صورة مـن المعيش اليومي، إحسـاس بسعادة قصيرة، مظهر طبيعي مفاجئ، ومضة من الذاكرة اللاقريبة جداً. أو القليل القليل من أي شيء يظهر في مرمى البصر.

في العـصر الحديـث أصبـح الهايكو أكثر تحـرراً من القيـود وأقرب إلى الشـعر العربي في بعـده الجغرافي والثقافي، حاول شـعراؤه الهروب إلى الحلـم، مـن واقع اغترابي زخم بالتناقضـات والصراع بين التقاليد والحداثة، غدت قصائد الهايكو تجسـد الحقيقة: ليست دائماً جميلة، فوجدنا توظيفهم بكثرة للاسـتعارة والتجسـيد، إنها محاولات لإزالة الصور النمطية التي كان مطلق مصدرها من الطبيعة ولا غير الطبيعة، قصائـد الهايكو المعـاصر أحدثـت قطيعة مـع الروح الرومانسـية، مستندة بقوة إلى الأبعاد الرمزية أو السريالية أو التجريدية.

أتمنى للقارئ العربي نزهة معرفية وشـعرية ثرية سيكتشـف من خلالها روح وفلسـفة الشـعر الياباني المترع بالبحـث عن الجوهر في الطبيعة والإنسان.

المترجم

الفصل الأول

قبل باشو

في اليابـان خـلال القرن الـ(15)، ازدهر شـكل شـعري جديد أطلق عليـه: الرينغـا. والرينغا هي قصيدة تكتب بشـكل جماعي من طرف عدد من المؤلفين.

يضيف المشـاركون بالتناوب أبياتاً شعرية من 17 مقطعاً لفظياً (5 و7 و 5 مقاطع لفظية) ومنها 14 (7 و7 مقاطع لفظية) ثم يختارون قصيدة مكونة من 100 بيت شعري.

كانت الرينغا جنسـاً أدبياً رفيع المستوى، وكان يطلب من الأعضاء، حسـب التقاليد، أن يقدمـوا أبياتهم الشـعرية معتمدين على جمالية القرون الوسطى ومستظهرين الكلاسيكيات الشعرية.

في القرن الـ16 أصبحت الشـعبية للهايـكاي – قصائد هزلية – بدل الرينغا.

والهايكاي (هايكاي–رينغا) هي قصائد مكونة من 17 و14 مقطعاً لفظيا مثل الرينغا، لكنه يعارض الرينغا مقحما مزحا عامية عصرية، استعمل شعراء الهايكاي اللعب بالكلمات وأشياء الحياة اليومية التي لم تهتم بها الرنغا.

البيـت الأول (17 مقطعـاً لفظيـاً) مـن الرينغا والهايـكاي يدعى: (هوكو)، بدأ شعراء الهايكاي يقدمون ما يكتبونه من الهوكو كقصائد مستقلة، وهذا هو أصل الهايكو.

يطلب, حســب التقاليد، أن يعتمد البيت الأول من الرينغا والهايكاي عــلى الكيغو (إدراج فصــل من الفصول الطبيعيــة) وبذلك فقد فرض أيضاً إدخال الكيغو داخل الهوكو (وداخل الهايكو).

الفصل الثاني

باشو ماتسويو 1644 – 1694

اشتهر باشو ماتسويو كأعظم شاعر في تاريخ الهايكاي (والهايكو)، خلال شبابه كتب قصائد على طريقة: الهوكيس الهزلية موظفاً عدداً كبيراً مـن ألعاب الكلمات، وفي حدود سـنة 1680م بـدأ يعطي أهمية كبيرة للفلسـفة داخل (الهايكاي) خاصة في الهوكو. لقد تأثر بشـكل كبير بتشوانغ – تسو، الفيلسوف الصيني للقرن الرابع قبل الميلاد، وقد وظف نصوصاً من كتاب المعلم تشوانغ.

لم يعط تشـوانغ قيمة كبـيرة للذكاء كما أنكر الزخرفة الأسـلوبية والقصديـة، واعتبر أن القيمـة الحقيقية توجد في الأشـياء التي تبدو ظاهرياً بلا جدوى كما اعتبر أننا سنحيا بشكل جيد لو أننا لم نخالف الطبيعة.

سنمدد

قائمة البلشون

حين نظيف إليها قائمة التدرج

(باشو)

هـذه القصيدة تعارض نصاً من كتاب المعلم تشـوانغ: (عندما نرى شـيئاً طويلاً، لا ينبغي أن نفكر أنه أكبر طولاً إذا كان في الواقع طوله طبيعياً، قوائم الحذف قصيرة، لكنه سـيصرخ إذا مددناها له بالقوة، قوائم الكركي طويلة، لكنه سيحتج باكياً إذا قطعناها بسكين).

باشو عن عمد تلاعب بفعل (تمديد قائمة طائر) الذي سبق أن ألغاه تشـوانغ، ليبين العبثيـة والنفعية. هذا الهايكو يبين بسـخرية ضعف الذكاء البشري.

قصائد الهايكو عند باتشو جد ممسرحة. يعرض من خلالها المزحة أو الكآبـة، أو الانتشـاء أو الالتبـاس، بمبالغة كبيرة. غـير أن تعابيره الدراميـة لهـا خصوصية متناقضـة، الفكاهة والحـزن المعبر عنهما ليسـا أداتين لتأكيد أو تمجيد إمكانيات الإنسان في إنجاز أعماله، كلما وصفنـا أعمال الناس كلما برز لنا بجـلاء أن حيواتهم صغيرة، وأدرك القارئ عظمة الطبيعة.

فوق المروحة
أضع الريح القادمة من قمة (فوجي)
هذه ذكرى إيدو (اسم مدينة طوكيو في ذلك العهد)
النعاس على متن حصان
القمر هناك في حلم متواصل،
دخان تحميص الشاي
الربيع يمضي
الطيور تصرخ
عيون سمك مغرورقة بالدموع
الشاي في الزاتشيكي
يتزحزح ويدخل

الجبل والحديقة

زاتشـيكي: قاعـدة مفروشـة بالتاتامـي (حصـير يغطـي حلبات المصارعة اليابانية).

يا للسرور!

وادي الجنوب

محنط بالثلج

ريح الخريف

أشد بياضاً

من حجر الرابية الصخرية

من كل الاتجاهات

تحمل الرياح بتلات الكرز

إلى بحيرة طيور الغواصة

حتى الخنزير البري

يوشك أن يؤخذ

في هذه العاصفة

الهلال يضيء

الأرض المضببة

تزهر الحنطة

دون أن تسقط

قطرة ندى.

في الأصل، لم يكتب باشو (سنمدد قائمة بلشون..) مثل شعر الهوكو، لكـن مثل بيـت من هايكاي – رينغـا، يقترح هذا البيـت نية التظاهر بالبلاهة ساخراً من نفسه، (من هذا المعتوه الذي مدد قائمة البلشون من أجل كتابة قصيدة هايكو؟ لقد استعمل كثيراً هذه العبارة).

الفصل الثالث

بوسون يوسا 1716 – 1783

في القــرن الـــ18، لم يعد شــعر الهايـكاي – رينغا شــعبياً، كما أن الشعراء ركزوا كل طاقاتهم على إبداع الهوكوس.

الرســام والشــاعر بوســون نجح في أن يســتحضر صــوراً تعبيرية واضحة في قصائده الهوكوسية المفعمة بالضوء.

قصائــد بوســون، مختلفــة عن تلك لباشــو، لا تقترح فلســفة، ولا إيمــاءات تفخيميــة. تعابيره جــد صافية بحيث لا يمكــن أن نجد بين معاصريه موهبة مشابهة، كان يملك عبقرية تمكنه من أن يحسسنا بالخلود فيما وراء الطبيعة من خلال وصف مشهد هادئ.

قصائد الهوكيس عند بوسون وصفية، لكن الوصف فيها مثالي أكثر منــه واقعي، وهذا يدل على أنه كان يريد وصف جوهر الأشــياء وليس مظهرها الخارجي.

تعتــبر قصائد الهوكيس عند بوســون، مجــالاً لغوياً خصبــاً فثراء كلماته يضاهي الطبيعة وتنوعها المتشــعب، وهذا جعلها فتنة للكثير من الشــعراء إذ مارســت عليهم تأثــيراً كبيراً خاصة شــعراء الهايكو المعاصر. قصائده مرتبطة كلياً بخاصية اللغة اليابانية، وترجمتها إلى لغة أخرى تعتبر شبه مستحيلة.

البخار الصاعد من التراب

رف مبيض

الحشرة، ذات اسم مجهول

زراعة سحابة ثابتة

فتختفي

طيارة ورق تحلق

في نفس المكان

حيث كانت بالأمس

عندما ينتهي احتراق البخور

أضيف المزيف

ليلة صيفية قصيرة

قطرة ندى

فوق ظهر أسروع وبري

بعوضة تنط

كلمات سقطت زهرة عسل

أربع أو خمس أشخاص يرقصون بشكل دائري

القمر فوقهم سيسقط

القمر يشع وسط السماء.

أتجاوز حياً فقيراً

يبقى ساهراً

يقولون أنه نام

ليلة خريفية باردة

طائر فوق ماء الخندق

فانوس يخرج من القلعة.

الفصل الرابع

شيكي ماساوكا 1867– 1902

ابتدأ شـيكي ماسـواكا في عالم الهايكو ناقداً لباشـو متسويو. لقد انتقد قصائده الهيكيسية المعروفة في كتاب باشو زاتسيدان (مختارات باشو، 1893) لم يدحض كل أعمال باشو لكنه آخذه على أن قصائده في الهايكوس ينقصها الصفاء الشعري، وأنها تتضمن عناصر تفسيرية ونثرية.

ومـن جهة أخرى، فشـيكي أثنى على بوسـون يوسـا، الذي لم يكن معروفاً. قال أن قصائده في الهايكوس كانت صافية تقنياً، وأنها تنقل بفعالية تعابير واضحة للقارئ.

بعدما اكتشـف شيكي الفلسفة الغربية، اقتنع أن الأوصاف الموجزة للأشـياء والأفعال جد فعالة بالنسبة للتعبير الأدبي والتصويري، وألح على أهمية الشـاسي (الوصف المابعد الطبيعي), هذه الفكرة قادته إلى الوصف البصري وإلى أسلوب يتميز بالبساطة.

إبداع شيكي حقق صدى عظيماً في اليابان كلها، وأحيا عالم الهايكو الراكض.

المطر الدافئ يسقط
فوق الأجمة العارية
المستنقع المتجمد
قريدس يتحرك

بين طحالب طاعنة في السن
شعب يلف مزمجراً
برعم شجرة
ياله من هواء منعش
عربة ثلجية صغيرة، تحت الأمطار
تتسلق الصنوبر
أوراق اللوتس في المستنقع
تتحرك فوق الماء
أمطار يونيو
الدخان الدوار
بعد مرور القطار
أوراق الحور الفتية العاصفة
دامت نصف يوم
كسرت ساق زهر الخباز
لا نرى القمر
حين تصعد
أمواج عظيمة
فوق تجويف صخري
لبلابة
نبتة الليف أزهرت

أنا روح

مخنوقة باللعاب

أنكر شيكي قيمة الهايكاي – رينغا واستعمل دائماً اسم هايكو بدل الهايـكاي أو الهوكـو. اليوم الهايكاي – رينغا يسـمى (رينكو)، لكن القليل من المختصين يهتمون بهذا الشكل الشعري.

الفصل الخامس

كيوشي تكاهاما 1874 – 1959

في 1898، كيوشي تكاهاما تحمل إدارة مجلة الهايكو (هوتوتوجيسو) التي أعاد إصدارها كيوكودو ينغيهارا وشيكي مزواكا.

كتب كيوشي بالأساس حكايات منذ 1907 إلى غاية 1912، لكن بعد 1913 سيتخصص بالهايكو ويصبح مريدا له ، كثير من شعراء الهايكو انخرطوا في مفهومه للهايكو، وأصبحت (الهوتوتوجيسو) مجلة مهمة تتلقى كماً هائلاً من الرسائل.

قصائد الهايكو لدى كيوشي لا تنحصر في أسلوب ثابت. نجد من بينها من هي فاتنة ورجولية، بينما أخرى حادة البصيرة وناعمة، وكثير منها يطلق العنان للخيال، وأخرى تصف فقط وقائع يومية، عالم كيوشي فوضى عارمة بمعنى أنها متنوعة مثل حقل مليء بالزهور والأعشاب البرية.

إذا شئنا بإيجاز تحديد تصور كيوشي يمكن أن نقول إنه لا يحب الصور المصغرة المصطنعة المشيدة على الذكاء، يريد أن يصور اللوينات المعتمة التي يستحيل تفسيرها ذهنياً.

اعترف كيوشي بالقيمة الرفيعة لباشو، لكنه لم يستصغ حركاته الممسرحة. بالأحرى فضل عليه بونشو نوزاوا تلميذ باشو الذي تفوق في الوصف الموجز.

يعطي كيوشي أهمية كبيرة للوظيفة الرمزية لـ(كيغو) وبالتالي فقد

استبعد كل الذين كتبوا الهايكو ولم يمارسوا كتابة الــ(كيغو).

ثعبان هرب

رمقني بعينيه

وبقي وحيداً بين الأعشاب

نسمي هذه الزهرة فوانيا بيضاء

نعم، لكن

بها قليل من الحمرة

تتناول الفتيات شتلات الأرز

بريق الماء يهتز

فوق ظهر قبعات البردي

ظلال المساء كثيفة

كذلك في الطحالب الكثيفة

على سطح الشاطئ الربيعي

رسمت دائرة كبيرة.

كلب يرقد

يتناول رأسه بين قائمتيه

منزل الأقحوان

أشاهد النهر

قشرة موز

تسقط من يدي

عندما نضع شيئاً
ظل خريف
يولد هناك
جذور شجرة صيفية ضخمة
فوق الصخرة
تمتد في كل الاتجاهات
بتلة كرز سقطت في كفي
عندما فتحت كفي
لم أجد شيئاً
الفراشة الأولى القادمة هذا العام
(ما هو لونها؟)
(الأصفر).

(الهتوتوجيسو) طائر يصنف ضمن طيور الواقواق. وحسب الأسطورة، فإنه يغني بعنف حتى يبصق الدم.

وكان تشيكي ماسواكا مصاباً بمرض السل فقارن نفسه بـ(هوتوتوجيسو)

و(تشيكي) اسم آخر لهذا الطائر.

الفصل السادس

إيبيرو نكتسوكا 1887 – 1946

خـلال عـصر الميجـي (1912-1868) وكذلك عصر تايـشي (1912 – 1926) حـاول كثـير من الكتاب إقحام اللهجة العامية في الأسـلوب الأدبي الكلاسيكي الذي كان رفيع المستوى وعلى درجة من السمو عن لغة المحكي اليومي ولم يكن جديراً أن يكون وسيلة للتعبير عن أفكار معاصرة. ومن هنا جاء إلحاحه الشديد على ضرورة توحيدهما.

كان الهايكو يتعامل بدقة تامة مع الأسـلوب الأدبي الكلاسـيكي إلى درجة أن بعض الشـعراء كانوا يعتقدون أن يسـتحيل إقحام الأسلوب الشفهي. المقاطع الخمسة أو السبعة التي تكون كل قسم من الهايكو كانت مرتبطة بعمق بالأسـلوب الكلاسـيكي، بينما في اللغة الشفهية فكل قسم منها يجنح نحو التمدد إلى حدود الستة أو الثمانية مقاطع.

تمـرد إيبيرو نكاتسـيكا على التصـور العام وقام بإقحام الأسـلوب الشفوي في الهايكو. تحررت قصائد الهايكو لديه من صرامة المقاطع السبعة عشر ثم أسس (الهايكو الحر).

واسـتبعد كذلك استعمال الكيغو (كلمة فصل من فصول السنة) ثم وضع منجزات أسـاتذة الهايكو موضع الشك ناصحاً شعراء الهايكو بضرورة تجديد أساليبهم الشعرية الشخصية.

اليـوم، يندهش الجميـع من جدة هايكـو الـ(إيبيكـيرو) فهو غير غامض ولا متكلف فقد تمكن من تقديم فهم واضح لجوهر الأشـياء

والأحداث بأســلوب موجز. قصائده غير ثابتة الشكل، تولد جملاً لينة من الذهن الإنساني المضطرب كما لهب الشمعة.

صورتي

التي خرجت من المرآة

جاءت لعرض الأقحوان

آه، يا يدي المنزلقة على الهيباتشي الأبيض

آه يا بلادي.

(الهيباتشي: آنية من الفخار النحاسي المستعمل في المنازل.)

الحاضنة

توقفت بدلو مليء بـ(بزاق البحر)

ثم مضت

حزين الكلب ذو الخاصرة الطويلة

نبات السلجم بدأ يزهر

جلبة وراء عربة الكلأ

ها هو يوم صيفي

كما لو كنت بجانب أمي ذات الملابس الخفيفة

في نافذة الصباح

مستودع الحصيد أبيض

يحتوي ذرة بيضاء

الوليد يأتي إلى العالم
حاملا شعر
الفجر
في الحقل
سنابل الأرز تتزاحم
القلقاس أيضاً
يترك أوراقه الكبيرة تتدلى
إنه كوخ قذر
لاستقبال ضيف
تحت شمس حارقة.

الفصل السابع

سيكيتي هارا 1889 – 1951

نـشرت مجلة هتوتوجيسـو تحـت إدارة كيوتشي تكاهاما لشـعراء هايكو مرموقين.

وكانـت الموجـة الأولى خلال مرحلة التايشـو كانت تتكون من شـعراء مثل كيجـو موركامي (1865 – 1938) وسـويها وتنـاب (1882 – 1946) وفورا مايدا (1884 – 1954) دكوتسو ليدا (1885 – 1962) وسيكيتي هارا، إلخ.

هؤلاء الشعراء كانوا ينعتون بـ(شعراء الهتوتوجيسو تيشو).

قصائدهـم تتميز بوصف الطبيعة وعشـق الكائـن الأزلي والمكتنف بالأسرار بأسـلوب كلاسيكي رفيع المسـتوى، كما أن مواضيعها هي المناظر الطبيعية: (الجبال، الهضاب، البحر، السماء) حيث حياة الإنسان بين الطبيعة.

أقـدم قصائد سـيكتيي هارا، كان يعيـش شرق يوتشـينو، قرية توجد بين الجبال. في قصائده وصف للطبيعة القاسـية وقـد نجح في التعبير عن الجمال الحاد وكان هذا بمثابة صدمة لكتاب قصيدة الهايكو.

أعلى التلة.

وريدات النوجيكي (الأقحوان) تتمايل بشساعة

في مهب الريح

(Nogiku): أقحوانيات وحشية، لوبيات الخريف.

الشجرة اللزجة

تفلق ببلطة

صوت امرأة سليطة

ألعاب نارية التي تفاجئ الحيوانات مفاجأة

ظلال الجبال تتدفق
على سطح المعابر
القمر
فوق الجبال الثلجية
أسقط أمطار البرد
قضيب من الأوروت
يلمس خد حطاب
يكدس الغيوم
اللون الأخضر المنفصل عن الجبال
يلاحق تنقل السلمون المأسور
في عزلته
مازال حارس الكبيا
يدق الجرس
(الكبيا Kabiya كـوخ حيث تضرم نار الكابي، وهي نيران لتخويف الحيوانات الضارة في الخريف مثل الأيائل والخنازير)
أيدي النساء موجودة
لتفريغ الحبار في الربيع
رياح الخريف
طبقان
بزخارف مختلفة
الفراغ من جعل الأجنحة
الدقيقة لليعسوب تطن.

الفصل الثامن

هيساجو سوجيتا 1890 – 1946

ارتأى مدير مجلة هوتوتوجيســو كيوشي تكاهاما أن ينشر الهايكو بين النســاء، فأنشأ قسماً أطلق عليه (أناشــيد المطبخ) حيث تم نشر قصائد هايكو جيدة لشــواعر مثل كناجو هاسيغاوا (1887 – 1969) وميدور جيو أبي (1886 – 1980).

من بين أولئك الشــواعر برهنت هيساجو سوجيتا عن موهبة عالية مستكشفة احتمالات جديدة.

من بين الخصائص الشــعرية التي يمتاز بها شــعراء هوتوتوجيسو كيوشي الدقة في ابتداع منظور زائف يجمع بين المشهد الخلفي والمشهد الأمامي.

الندى فوق ورق القلقاس

الجبال تسوي

ظلالها

دكوتسو ليدا

في عمق الوادي

مثل فراشة ترتفع

هكذا تنسج قصائدها للهايكو:

الجبال تســوي ظلالها (المشهد الخلفي)+(المشــهد الأمامي) الندى فوق ورق القلقاس+مثل فراشة ترتفع المشهد الأمامي في عمق الوادي

(المشهد الخلفي).

اعتقد أن رؤية الشواعر في هذا الهايكو تعتمد على المشاهد الخلفية. وكان الهـدف هـو تقديم الصورة الملحـة للجبال أو عمـق الوادي. أما المشـاهد الأمامية مثل (الندى فوق أوراق القلقاس) أو (الفراشة) فلا تلعب سـوى دور ثانوي لأنها فقط تزخرف المشـاهد الخلفية صانعة إيقاعاً منسجماً كما الورود التي تزيد المعبد.

لكن في هايكو هيسـاجو فعندما يتواجد المشـهد الخلفي والمشـهد الأمامـي فإن كل عنصر يحـاول أن ينوجد لذاته لا يحاول أبداً أحدهما أن يحجب الآخر

الهواء البارد للخريف
يصل إلى أزهار الكوبية
بلاد الشينانو.

هيساجو

في هذا الهايكو، تتآلف شينانو (الاسم القديم لمقاطعة نغانو–ويقصد بالاسم منطقة شاسعة) وأزهار الكوبية في المشهد الأمامي، يستدعي اسم شينانو التاريخ وأزهار الكوبية في ذروة الأزهار, وهذان العنصران يؤكدان على استقلاليتهما الذاتية، كما في دراما تقدم بطلين.

تعطي قصائد الهيكو لدى هيساجو الانطباع أنها منسوجة من النور والنور وليس من النور والظلمة، لهذا فهي تستجوب قراءة متأنية لكل العناصر.

ماتت هيساجو من شدة الخرف دون أن يعترف بها في عالم الهايكو رغم أن تشـوتسي ميزوهارا (1892 – 1981) استغل أسلوبها الجديد لكـي يخلق توتراً في الهايكو، يمكن إذن اعتبار أعمالها الشـعرية أحد مصادر الهايكو المعاصر.

اخلعوا ملابس هانا – غورومو
ضفائرها المتنوعة تلتف
حول جسدها.

(هانا غورومو: يقوم اليابانيون في شـهر أبريل بنزهات إلى الحديقة للتمـلي بأزهار الكرز (الذهاب إلى الهانا – مي) النسـاء يرتدين حينها الهانا غورومو).

كيمونو جميل من أجل الهانا – مي.
أقص الحرير
سيقان الدخان تتماوج وتتشابك
في النافذة
زهرة يوغاوو
تفتح نصفها
طياته عميقة.

(يوغاوو: يحب اليابانيون بعشق يومياً هذه الورود أساغاوو بمعنى (وجـه الصباح) واللبـلاب هيروغاوو بمعنى (وجـه النهار). وجميلة النهار يوغاوو بمعنى وجه المساء).

أزهار اللبلاب
السماء فوق هذا الحي
بدأت تغيم.
بتلات الأقحوان
تتقوس في بياضها
تحت ضوء القمر.
في يوم الأقحوان
أهز شعري المبلل وأمشطه
تتساقط القطرات.
في مجرى الجزر الربيعي
كتلة طحالب تمر
كالسهم.
طي مروحة خريفية صعب.
الأوبي صلب كلوح الخشب
(أوبي: حزام ياباني طويل وصلب تربط به المرأة لباس الكيمونو).
صدى صوت الهيتوتوجسو
سوف يهيمن على الجبال
عندما ننحني من على قارب
كي نقطف زهرة كستناء الماء
نحس وكأن المستنقع يغلي.

الفصل التاسع

سوجو تاكانو 1893 – 1976

أنجز شعراء الهوتوتوجيسو تايشو عدداً مهماً من الأعمال الشعرية مستعينين بالخيال الرومانسي، لكن هذا الاتجاه سوف يؤدي إلى تأثير خارجي على شعراء الهايكو بحيث تحول ذلك إلى تقليد مألوف.

مع بداية عهد الشووا (1926 – 1989) أصبح لشعراء الهايكو التابعين لمدرسة الهوتوتوجيسو مدير جديد هو الشاعر كيوشي تكاهاما الذي لجأ إلى تحديث هذا التيار فبدأ بتعظيم ضرورة العودة إلى طريقة (تشاسيي) (الوصف من الطبيعة) وهذا يعني العودة إلى التصور الشعري الذي وضعه شيكي ماسواكا المبني أساساً على أن الهايكو الذي لا يعتمد على الملاحظة الصحيحة والوصف الدقيق لا تؤثر في القراء مخترعاً مصطلح (كياكان شاسيي) الوصف الموضوعي من الطبيعة جاعلاً منه مبدأ أساسياً للكتابة.

الذين اتبعوا الإدارة الجديدة بدؤوا عهداً جديداً ومن بين هؤلاء نجد (تشيوتشي ميزوهارا 1892 – 1981 وسوجو تاكانو وسيهو أوانو 1899 – 1992 وسيتشي ياماغوتشي 1901 – 1994 وكوزاتاوو ناكامورا 1901 – 1983م).

أحد الخصائص المهمة لهؤلاء الشعراء هي الوصف للمشاهد الأمامية. وفي كثير من الأحيان كانت تتضمن قصائد الهايكو لديهم على أشياء ينظرون إليها أمامهم.

وهذا الأسلوب يشكل تناقضاً حاداً مع أسلوب شعراء الهوتوتوجيسو تايشو الذين اختاروا أن يصفوا خصوصاً المشاهد الخلفية في الطبيعة.

عارض شيوتشي ميزوهارا سوجي ملاحظاً عليه أوصافه للمشاهد الأماميــة التي يعتبرها مجرد وصف ســطحي يطابق الوصف العلمي للطبيعــة. يظهر اليوم أن هذا الانتقاد كان جائراً لأننا إذا تأملنا بعناية قصائد الهايكو لدى ســيجو ســنلاحظ أن له طريقــة فريدة في وصف الفضاء بتعبير قد يبدو في الوهلة الأولى مجرد تفسير للطبيعة.

تقريبــاً كل شــعراء الهايكو يعتــبرون أعمال ســيجو كنتيجة لتيار (كياكان تشيســيي). مع ذلك فلم يكن فنانــاً واقعياً بالمعنى المعاصر. كان يحترم التباين الرمزي الذي تتضمنه الكلمات خاصة في الكيغوس. فتبنــى الحالة الإبداعيــة التي تعكس صور الأشــياء من خلال كلمات متباينة في رمزيتها.

وبناء عليه فحتى إن وجد وصف لمشاهد أمامية، فإن قصائد الهايكو لدى ســيجو لا تضعها بوضوح كبير لأنها تمنحنا الانطباع أن الشاعر أرسل نظرته إلى هناك رغم أنه ينظر برصانة إلى هنا.

وعلى خلاف ســيجو فإن الشــاعر كوزاتو ناكامورا المعاصر له كان واقعياً حقيقياً محباً لانتزاع التأويلات التقليدية للكلمات.

أعمال سيجو كانت أقوى استعمالاً للوظيفة الرمزية للغة اليابانية وكان هو بدوره من أبرز شعراء مدرسة الهوتوتوجيسو.

نملة الأسد

لا نسمع غير الريح

تهب بين أشجار الصنوبر.

بذرة لسان الحمل.

ثلاث ورقات

ذات أحجام مختلفة.

خط فاصل.

بذور عرق السوس.

صوب رابية الصيف.

نسير

في الحديقة.

ثلج الربيع

كالأمواج

يخترق السياج

برد المساء

يضرب الأغصان

البيضاء

هذه الخوخة كانت خضراء

لكنها تحمل قليلاً من الأحمر.

نسيج العنكبوت

منصوب

أمام الزنابق

على حدة

تطير هناك

غربان لأول مرة

فقاعات تتجمع تحت الجليد الرقيق

أحد الصفائح تتزحزح قليلاً.

الفصل العاشر

كاكيو توميزاوا 1902 – 1962

كان سيوتشي ميزوهارا عنصراً مؤثراً في ملجة الهوتوتوجيسو لكنه غادرهـا عام 1931 إثر خلاف مع سـيجو تاكانو وكيوتشي تاكاهاما معلمهم الذي كان يدافع عن أسـلوب السوجو. رأي سيوتشي إن مبدأ (كياكان تشيسي) (الوصف الموضوعي من الطبيعة) يشجع على شعر هايكو سـطحي يصف الأشياء على نمط واحد. ويدافع في المقابل عن أسلوب يعبر عن الجمال الكامل.

اسـتقلال سـيوتشي أحدث صدمة كبيرة في عالم الهايكو الذي كان يهيمن عليه كيوتشي. وهذا الحدث حفز الشـعراء الشـباب على خلق حركة مجددة أكثر تشـدداً أطلقوا عليها (تشينكو هايكو) (الهايكو الجديد). لم يعط سيوتشي أية قيمة للهايكو الخالي من الكيغو (كلمة الفصل الطبيعي: ذكر الصيف أو الخريف أو الشتاء أو الربيع).

وبحث عن موضوعاته في الطبيعة وعن الحياة داخل الطبيعة، رفض شـعراء الهايكو الشـباب شرط الكيغو باحثين عـن عصرنة الهايكو مسـتخدمين الأدب الغربي كنموذج، وكثير منهـم تعاطف مع الفكر الاشتراكي أو الفلسفة البوذية.

أهم شـعراء التشينكو هايكو هم: سانكي سيتو (1900 – 1962)، كاكيـو توميزاوا، هوسـاكو تشـينوهارا (1905 – 1936)، سوشـو تاكايا (1910 – 1999)، وهكوسين وتاناب (1913-1969).

تأثر كاكيو توميزاوا بالشـــعر الرمزي، فحاول التعبير عن سوداوية المعاصريـــن موظفـــاً عـــلى الطريقـــة الغربيـــة الغموض والاســـتعارة والمماثلة.

اليوم، الآراء حول الكاكيو مازالت ســـائدة، خصوصاً لدى الشـــعراء التقليديين الذيـــن لا يعترفون كلياً بمبدأ التشـــينكو هايكو والكاكيو أيضاً.

وجهـــت للكاكيـــو انتقـــادات. الأول حـــول تقنيـــة كتابتهـــا: (يعتبر الهايكـــو الشـــكل الأصغـــر في العالـــم، إذن لا يمكن أن ينقل إلا أشـــياء قليلة. الأســـاسي في الهايكو هو الإيحاء بالفضاء الشاســـع بواســـطة كلمات قليلة وليس التعبيرية. لهذا عمل الشـــعراء بعناية على الوصف البســـيط مفســـحين المجال لخيال القارئ، طريقة الكاكيو تحاول أن تجذب القراء مســـتعملة الاستعارة، لكنها تنقص في المقابل من حرية الخيال وتضعف الهايكو (هذه الانتقادات تصدر أساســـاً عن الشعراء المحافظين على التقاليد).

لكن يبدو لي أن هذا النوع من الانتقادات لا يهتم إلا بجانب واحد من تقنية الكاكيو. قبل الكاكيو كانت تســـتعمل الأوصاف البسيطة فقط وكانت هناك قاعدة ثقافية تساند هذه البساطة، استمرارية التقاليد وتشـــارك اليابانيـــين في نفس القيـــم والفهم الجمالي الثابت والراســـخ ومن هنا كانت الأوصاف البسيطة نفس المتعة لدى القراء اليابانيين.

ومع تســـارع انتشـــار العولمة وتطور العصرنة أصبـــح من الصعب

تقاســم نفس القيم حتى بين اليابانيين أنفســهم. وبالنسبة للهايكو صار من الضروري تدعيم الانتقال إلى استخدام تعابير مبالغ فيها.

الانتقاد الثاني يتعلق بمفهومها للإنســان، كان شــعراء التشينكو هايكــو يرفضــون الثقافة المتوافــق حولها في اليابان مشــمئزين من مجتمعهم الذي يحترم الولادة والأبوة ونفوذ الشيوخ أكثر من القيمة الإنســانية للفــرد. كانوا يحلمون بقيــم ليبرالية مرحبــين بالفردانية الغربيــة معتبريــن أن المجتمع والفرد متعارضــان. كانوا يفكرون أن الكاتب يجب أن يمتلك موقفاً فردياً من المجتمع.

بعد الحرب واستمرار العقلية التقليدية اليابانية التي تحب السطوة رغــم التجربة المؤلمــة للهزيمة عبر الشــاعر كاكيو كفــرد عن اليأس الإنساني.

ومــع ذلك، فــإن القيم التي تضع الناس في مركــز الكون، وفكرة أن للفرد الحق أكثر من المجتمع، أصبحت اليوم موضع ريبة. هل يمكننا القــول إن الفــرد أفضل من الفأر؟ إذا قبلنا دون ســخرية أنه لا يوجد فرق بين الإنســان والفأر، فإن مفهوماً جديداً للإنسان سيظهر ، فإذا لم يعد الفرد مدركاً لحقوقه، فإن اليأس البشري سيزول.

وانطلاقــاً من هذا النقد الهام ضد الشــينكوهايكو، قــام كوا نغاتا وســيتو هيراهاتــا (1905 – 1997) بتأســيس حركة شــعرية أخرى أطلقــوا عليهــا الكونــج هايكــو بمعنــى (الهايكــو يبحــث عن أصل الوجود).

وتتنــوع الآراء بشــأن الكاكيــو، ولكــن العديد من شــعراء الهايكو المعاصريــن قد اعتمدوا طريقته. وأعتقد أن عمله الرائد لن يكون أبداً موضع شك.

رافعة

ترسم ظلالها مع الغروب

تسحب أجنحتها مثل الدخان

الرفراف

يقف هنا

قبور بيضاء متواضعة.

أصوات مكتزة لأحذية

تتواصل بانتظام

بجانب المصباح

تهطل الأمطار الغزيرة

فوق دوامة دوي المدافع.

قفص الفهد

لا قطرة ماء

بقيت في السماء.

يوم اللقاح

ليس للطيور أثداء

افتح نافذة

اصطاد نعرة

الحقول متموجة

فراشة تسقط

فصل الجليد

بارتطام شديد.

حرارة الخريف

لطخات الفهد

تظهر لزجة تحت الشمس

حلم فراشة شتوية

قطرة جليد ذائبة

في جبال القراقوم(1)

---

(1) قراقـوم هي إحدى سلاسل الهمالايا الجبلية تقـع في المناطق الشمالية لباكستان قرب الحدود مع الهند والصين وتمتد لمسافة 500كم تقريباً. وتقع أسفل قمة الجبل بحيرة ماناساروار المقدسة عند الهندوس. (المترجم).

الفصل الحادي عشر

كوانغاتا 1900 – 1997

حتى بعد نقد شيكي مساوكا لباشو ماتسيو، التقدير لهذا الأخير لم ينقص، بـل على العكـس فصيته ازداد ليـس فقط بين عالـم الهايكو بـل أيضاً داخل المجتمع الياباني، فأصبح الياباني الأكثر محبة في العالم بأسره.

مع ذلك يمكن أن نرتاب بأن يكون فهم أعماله يساوي شعبيته. الدليل على ذلـك أن شـعراء الهايكو الهزليين والممسرحين مثل باشـو لـم يكونوا رائجين في عـصر تايشـو (1926-1912م) ولا في عـصر شـووا (1926 – 1989م) كان شـعراء الهايكـو المسـتعملين الأوصاف البصرية للأشـياء مثل مدرسـة الهوتوتوجيسو الأكثر ذيوعاً وتقديراً.

يبدو أن شـعبية باشـوا لم يكن مصدرها الاهتمام بأسلوبه الشعري ولكن مـن التعاطف المعنـوي. فقد اختار الشـاعر حياة الزهد الشريـف مبتعداً عن مصادر جمع المال متخذاً لنفسه مسكناً. معتبراً أن الحياة سلسلة من الأسفار لاكتسـاب المعارف العميقة في الأعمال الكلاسـيكية للمزيد من تبجيل السلف: كان الناس يتعاطفون مع أصحاب هذه الفلسفة.

اسـتعاد كـوا نغاطـا أسـلوب باشـو وكان لا يثـق في تصـور مدرسـة الهوتوتوجيسـو. فهاجم طريقتها في الاقتصـاد في الكلمات وأن الأهمية تعود إلى البساطة المعتمدة على خيال القراء. وقد وصفها نغاطا بالموقف المنحط.

كان (الخضـوع للقـدر) المبدأ الأسـاسي في حياة كيشي تكاهامـا مفكراً أن مهمة شـعراء الهايكو كانت هي مواصلة ملاحظة مصيرهم بسـكينة. وكان يثنـي عـلى عظمة القدر كارهاً الموقف المقاوم له كما لدى مدرسـة الشـينكو

هايكو، ومع ذلك فقد قال إننا لا يمكن أن نعرف طبيعة القدر الحقيقية إذا لم نقاومه مرة واحدة على الأقل.

لعب باشـو مجموعة متنوعة من المواقف الكوميدية مشخصاً دور مهرج. مؤكـداً على عبثية الفعل البشري محـاولاً إظهار ضعف الرجل وعظمة القدر. شدد كوا أيضاً على الجانب الهزلي من الأشياء للتفكير في ماهية العالم.

حققـت مدرسـة الهوتوتوجيسـو بقيـادة كيـوشي نتائج ممتـازة، ولكن طريقتها المتكررة لا يمكن أن تكون وعاء يحتوي على النفس البشرية الملتبسة والمثيرة بعنف في العصر الحالي.

بلبـل ناغاتـا العقل البشري باسـتخدامه كلمات خارقة للمعتـاد، بها روح الدعابة والدهشـة، من يقرأ هايكو نغاتا يجـب أن يفكر، وليس فقط يلاحظ الحياة.

فـازت فلسـفة وطريقة نغاتـا بدعم المتحمسـين لها من شـعراء الهايكو الشباب الطموحين والشعراء الدعاة إلى الشعر الحر، ومن راقصي البوتو(1).

أزهار الكرز.

مع حرث حقول الرز

نرى أسديتها كلها

القواقع تتناسل

غارقة في غريزتها الجنسية

---

(1) رقص ياباني خرج من رحم الرقص القديم الكابوكي وظهر مع بداية الستينيات وجاء رداً على الصدمة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية. يتم التعبير عنه برقص جسدي يصاحبه إيقاع نقر على الأرض بالأقدام (المترجم).

امرأة تخيط فستاناً.

سلور يضحك

بينما يفكر في سلور آخر

في مستنقع آخر

شعر يسقط

إلى مزيد من الوراء

ياله من منظر رائع!

يراعة

تضيئ

يراعة أخرى ميتة.

أزهار البرقوق الأحمر.

فقاعة هواء

تخرج من العلبة.

النار تحرق الأعشاب

لهيبها يلحسنا

طفل تعيد لحسه.

إلى زهرة القرنفل

يأتي النمر

طائراً.

حين تسقط المرساة

فشخص سقط من قبل فعلاً.

سعيد بو كرامي

- من مواليد 1965 كاتب ومترجم مغربي.
- يقيم في مدينة الدار البيضاء.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- مؤسس ومدير مجلة أجراس الثقافية.
- مؤسس ورئيس الصالون الأدبي المغربي.
- نشـر في عدد كبير من الجرائد والمجلات المغربية والعربية، وشـارك في عدد من المؤتمرات والندوات.

من مؤلفاته:

- تقشير البطل: قصص 1996، منشورات الرابطة الدار البيضاء.
- الهنيهة الفقيرة: قصص 2002، منشورات مجموعة البحث في القصة.
- هواء خرائبي: 2008، دار أزمنة الأردن.
- الحوار الأخير: هنري ميللر. ترجمة، دار أزمنة الأردن. 2008م.
- عوالم روائية: ترجمة، دار أزمنة الأردن 2009م.
- العوالم الضائعة: ترجمة، دار النايا سوريا 2009م.
- ثقل العالم: رواية، دار أجراس الدار البيضاء 2009م.